

تفسير ابن كثير

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ^ط وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ^ط وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون. قال السدي : كان ابن عم فرعون ، ويقال : إنه الذي نجا مع موسى . واختاره ابن جرير ، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا ؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه ، وكف عن قتل موسى - عليه السلام - ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة ؛ لأنه منهم . وقال ابن جريج عن ابن عباس : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : (يا موسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك) [القصص : 20] رواه ابن أبي حاتم . وقد كان هذا الرجل يكتُم إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون : (ذروني أقتل موسى) ، فأخذت الرجل غضبة الله - عز وجل - و " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " ، كما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي

قوله : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) [أي : لأجل أن يقول ربي الله] ، اللهم إلا ما رواه البخاري في صحيحه حيث قال : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولوى ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر - رضي الله عنه - فأخذ بمنكبه ودفن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) . انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي قال : وتابعه محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة ، عن أبيه ، به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عبدة عن هشام - يعني ابن عروة - عن أبيه ، عن عمرو بن العاص أنه سئل : ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : مر بهم ذات يوم فقالوا له : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال :

" أنا ذاك " فقاموا إليه ، فأخذوا بمجامع ثيابه ، فرأيت أبا بكر محتضنه من ورائه ، وهو يصيح بأعلى صوته ، وإن عينيه ليسيلان ، وهو يقول : يا قوم ، (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها . وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة ، فجعله من مسند عمرو بن العاص ، رضي الله عنه . وقوله : (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي : كيف تقتلون رجلا لكونه يقول : " ربي الله " ، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال : (وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة ، فمن الجائر عندكم أن يكون صادقا ، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه . وهكذا أخبر الله [تعالى] عن موسى - عليه السلام - أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله : (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول

كريم . أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين . وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم
بسلطان مبين . وإني عدت بربي وربكم أن ترجمون . وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) [الدخان
: 17 - 21] وهكذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقريش أن يتركوه يدعو إلى
الله [تعالى] عباد الله ، ولا يمسه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك
أذيته ، قال الله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) [الشورى : 23
[أي : إلا ألا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس .
وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية ، وكان فتحا مبينا . وقوله : (إن الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب) أي : لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون ،
لكان أمره بينا ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف
والاضطراب ، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ، ولو كان من المسرفين الكذابين
لما هداه الله ، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .